Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

موازنة عامة بين الرضى وابن هشام

سبق القول إن ابن هشام المولود سنة ثمان وسبعمائة لم يطلع على مؤلفات الرضى المتوفى سنة تسعين وستمائة على أصح الروايات، وقد أيدت هذا بالدليل العقلى وبما وقفت عليه فى الأمر الثالث من مقدمة «خزانة الأدب» (١)، نقلاً عن البقاعى فى «مناسبات القرآن»، ولكنى وجدت بين الإمامين الجليلين تشابهًا فى بعض النواحى، فهما يلتقيان فى الجمع، والتحقيق، وطول النفس، وحسن التعليم، وقوة التدليل، وغزارة الاستشهاد، وتلك نتيجة لتوفر كل منهما على خدمة هذا العلم واستقصاء البحث فيما ثمرة النحاة السابقون من لدن نشأة النحو إلى أن وصل إليهما، حتى هدى كل واحد منهما إلى مبتكرات تفتق عنها ذهنه مما ترك الأول للآخر، عمادها استقلال الرأى وقوة الحجة.

والموازنة بين الإمامين الجليلين واضحة فى شرح الرضى «للكافية»، وفى «مغنى اللبيب» لابن هشام، فكلا الرجلين مؤلف قد جمع فى كتابه قواعد النحو وأسرارها بما يدل على تعمق فى هذا العلم واستكشاف لمخبآته وإحاطة بأوابده مع شغف بضم الأنواع المتجانسة، ولم أطراف الكلام الذى يراد التقعيد له، وكلاهما أخو فن متقن، حر التفكير تختمر الفكرة عنده فيرسلها مدعومة بما صح من نقل، مقبولة بما هدى إليه العقل، من غير تحيز إلى مذهب خاص من مذاهب النحاة الأربعة.

أما تباين الرجلين فيتجلى فى أمور منها:

أولا: أن صنيع ابن هشام فيما خطت يمينه من مؤلفاته كانت تغلب عليه النزعة الاستقلالية غير ملتزم ما اختاره سلفه من النحاة فى الترتيب والتبويب، وأنطق شاهد على ذلك كتابه «المغنى» الذى تجلت فيه ملكة التصنيف والتنسيق فأبدعه على مثال لم يسبق إليه، ولم يدع للمتأخرين استدراكًا عليه.

على حين أن الرضى كان فى تأليفه شارحًا لكلام غيره، ولا أعلم له مؤلفات أخرى سوى «شرحيه على الكافية والشافية» لابن الحاجب، ويغلب على ظنى

(١) مقدمة خزانة الأدب للبغدادى ص ١٣ .